(٨)

المرء مع من أحب

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: (المرء مع من أحب). متفق عليه[1].

إن في هذا الحديث الشريف نعمة عظيمة، ومنة جليلة، على عباد الله المؤمنين، حيث وأنه ـ ﷺ ـ يبين أن محبة الإنسان لقوم سبب في لحاقه بهم، وأن قصر به عمله .

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - (شرح رياض الصالحين) ١/٥٧: (هذه بشرى للإنسان أنه إذا أحب قوما صار معهم، وإن قصر به عمله، يكون

(١) أخرجه البخاري رقم :(٦١٦٩) ، ومسلم رقم :(٢٦٤٠).

معهم في الجنة، ويجمعه الله معهم في الحشر، ويشربون من حوض الرسول ـ ﷺ ـ جميعاً..) ا.هـ.

وجاء في معنى هذا الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ غيره.

فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل للنبي ـ ﷺ ـ: (الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: المرء مع من أحب) متفق عليه[1].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً سأل النبي ـ ﷺ ـ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ـ ﷺ ـ، فقال: أنت مع من أحببت) قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ـ ﷺ ـ: (أنت مع من أحببت).

قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: فأنا أحب النبي ـ ﷺ ـ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم

(١) أخرجه البخاري رقم: (٦١٧٠)، ومسلم رقم: (٢٦٤١)

أعمل بمثل أعمالهم) متفق عليه [١] .

وفي رواية (ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (شرح مسلم ١٦/٧٧): (فيه فضل حب الله ورسوله ـ ﷺ ـ ، والصالحين، وأهل الخير، الأحياء والأموات) أ.هـ.

إنه الحب الذي لا يوازيه أي حب في الدنيا، إذ أن الحب في الدنيا ومن أجلها سراب، تشوبه العلاقات التي بنيت على المصالح، فسرعان ما ينتهي، وإن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة :﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزخرف:٦٧).

فأي سعادة تقارب تلك السعادة في الحب: (أنت مع من أحببت)!! ، وأي نجاح في النهاية يوازي ذلك

(١) أخرجه البخاري رقم :(٣٦٨٨) ، ومسلم رقم :(٢٦٣٩).

الحب؟!!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(إنما ينفع العبد الحب لله لما يحبه الله من خلقه كالأنبياء، والصالحين، لكون حبهم يقرب إلى الله وصحبته، وهؤلاء هم الذين يستحقون محبة الله لهم) الفتاوى: (١٠/ ٦١٠).

وقال في الفتاوى: (١٠/٦١٠):

(فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبي ﷺ والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم إذا كنت تحبهم لله) ا.هـ.

فمن أعد هذا الحب، وصدقت سويداء قلبه،

وتدفقت آثاره على جوارحه وأركانه، كان أولى الناس بهم.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (جلاء الأفهام ـ ص: ٢٩٧):

(وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ـ ﷺ ـ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مُرسلة وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله، وكذلك محبة أهل العلم، والإيمان ومحبة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ـ ﷺ ـ) . اهـ

فمحبة الأنبياء والصالحين إنما هي تبع لمحبة الله تعالى، ويقوم بها العبد تقرباً إلى ربه ـ عز وجل ـ .

ولقد اصطفى الله ـ عز وجل ـ من بين هؤلاء الناس من الأنبياء والمرسلين والأتقياء والصالحين محمداً ﷺ

فكان الخليل الذي اتخذه الله تعالى.

ولذلك أوجب الله علينا محبة النبي ـ ﷺ ـ، وجعل محبته مقدمة على محبة جميع البشر، ومن تخلف عن هذه المحبة، فقد توعده وهدده، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(التوبة: ٢٤).

فمحبة النبي ـ ﷺ ـ أصل من أصول الإيمان، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ـ ﷺ ـ: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**) رواه البخاري ومسلم[1].

(١) أخرجه البخاري رقم :(١٥)، ومسلم رقم :(٤٤)

ومن تأمل الخير الواصل إلينا من جهة النبي ـ ﷺ ـ علم أنه أحق بالمحبة والتوقير، والتعظيم، والاتباع من الآباء والأمهات، فإن الآباء والأمهات سبب في الحياة الفانية، والنبي ـ ﷺ ـ سبب في الوصول إلى الحياة الباقية الأبدية.

ولوجوب هذا الحب، والتأكيد عليه من رب العالمين، فقد أوجب الله على كل مسلم أن يفدي رسول الله ـ ﷺ ـ بنفسه وماله وأهله وولده.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (التوبة: من الآية ١٢٠).

المسلم يحب محمداً ـ ﷺ ـ مرتين: مرة بحكم دينه الذي لا يشاركه فيه غيره، ومرة بحكم الشمائل

الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس [١].

وإن محبة رسول الله ﷺ ـ لها ثمن وعليها علامات، بها يعرف الصادق من الكاذب، فمن أحب النبي ﷺ امتثل أمره،واجتنب نهيه، وتفانى في طاعته، وابتعد عن مخالفته ولقد جعل الله ـ عز وجل ـ دليل محبته إتباع الرسول ـ ﷺ ـ ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾(آل عمران: ٣١).

قال ابن القيم-رحمه الله- : (يحببكم الله) إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها، وفائدتها، فدليلها وعلاماتها إتباع الرسول، وفائدتها وثمرته محبة المُرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية) (مدارج السالكين: ٣/ ٢٢).

---

(١) مجموعة العبقريات العباس العقاد ص: ١٠ .

وقال ابن كثير (تفسير القرآن: ١/٣٥٨):

(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله).

إن محبته ـ ﷺ ـ هي الإتباع لسُنَّته، والسير على محبته، والبعد عن مخالفته.

إن المحبين للنبي ـ ﷺ ـ حقيقة هم الذين عرفوا منزلته، وأفعمت قلوبهم بمحبته، وظهرت عليهم أمارات سُنَّته، أحبوه كل الحب، وأعظم الحب، وأصدق الحب، ولكنهم لم يغلوا فيه، ولم يطروه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولم يخلعوا عليه شيئاً من صفات الألوهية ولم يدعوه من دون الله، فهو عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه

وأمينه على وحيه، والداعي إلى توحيده، وتعظيمه.

ليست المحبة مجرد ابتهالات أو موالات أو احتفالات إن المحبة الحقيقية هي التي حوت الإجلال والتقدير والاحترام والتأدب مع سنته ـ ﷺ ـ، وليست محبة هائمة فلسفية المشرب، خيالية المورد، تورث تأليها لذاته، وتجريدا لصفاته، وتترنم بأشعار الغالين، وصلوات المتنطعين.

المحبة الصادقة هي المحبة الشرعية المنضبطة، لا غلو ولا جفاء، ولا تقصير ولا إطراء، إتباع لاابتداع، اقتفاء لا ادعاء، قول وعمل، دعوة وحقيقة، أخذ بالطريقة ، المحبة ولاء وولاية، دعوة وهداية، علم ورواية، حفظ ودراية، اهتمام وعناية رفع للراية. المحبة موالاة أولياءه، ومعاداة أعداءه، ومناصرة أنصاره، ومؤازرة أتباعه، محبةً لمحبيه، وبغضاً لمخالفيه، تأدب بآدابه، تخلق بأخلاقه، أخذ بشمائله، حب لفضائله،

رضاً لرضاه، سخط لسخطه، غضب لغضبه.

المحبة بذل للمهج، وجود بالمال، ودفاع عن العقيدة، وحراسة للشريعة، حب للآل، وإجلال للأصحاب، وأخذ بالكتاب وتحر للصواب [١].

تعجب الخلقُ من دمعي ومن ألمي
وما درَوا أن حبي صغته بدمي
أستغفر الله ما ليلى بفاتنتي
ولا سعادٌ ولا الجيران في أضم
لكن قلبي بنار الشوق مضطرمٌ
أُفٍ لقلب جمود غير مضطرمِ
منحتُ حبي خير الناس قاطبةً
برغم من أنفه لا زال في الرغمِ

(١) السراج المنير لناصر الزهراني: ٥ـ٨ بتصرف يسير.

يكفيك عن كل مدح مدح خالقهِ
واقرأ بربك مبدأ سورةَ القلمِ
شهم تُشيّدُ به الدنيا برمتها
على المنائرِ من عُرب ومن عجم
أحيا بك الله أرواحاً قد اندثرت
في تربة الوهم بين الكأس والصنم
نفضتَ عنها غبار الذل فاتقدت
وأبدعت وروت ما قلتَ للأممِ
ربيت جيلاً أبياً مؤمناً يقظاً
حَسَوا شريعتك الغراء في نهمِ
منابر وسجلاتُ وأندية
وأحرف وقوافٍ كن في صممِ

إن كان غيري له من حبكم من نسبٍ
فلي أنا نسب الإيمان والرحمِ
إن حلَّ في القلب أعلى منك منزلةً
في الحب حاشا إلهي بارئ النِسَمِ
فمزق الله شرياني وأوردتي
ولا مشت بيَّ إلى ما أشتهي قدمي [1]

(١) أبيات من السراج المنير للشاعر ناصر الزهراني .